الاغتيال الثاني للسادات

الفصل الثاني

السادات وثورة يوليو

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

« إن شخصية أنور السادات لجديرة بالإعجاب .. خليقة بالإطراء .. فعبقريته العسكرية الممتازة .. وشجاعته .. ورباطة جأشه .. وإخلاصه وتفانيه في خدمة المثل العليا .. إلى جانب قوة إرادته .. وتنزهه عن الغرض .. ورقة عواطفه .. وميله الغريزي للعدالة والإنصاف .. كل هذه الصفات جعلته أهلاً للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو والسير بها قدما في سبيل النجاح »

« الرئيس جمال عبد الناصر »

تاريخ نضالى وطنى قبل الثورة:

عاش السادات طوال عمره جسوراً ومغامراً ولم يوفر لنفسه حياة هادئة قط فمنذ تخرجه من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ ، كان الحس الوطنى يسرى فى عروقه وشغلته قضية تحرير مصر وقضى شبابه فى الكفاح من أجل طرد الإنجليز من مصر ، اشترك فى جميع التنظيمات السرية قبل الثورة ، كانت أفكاره كشاب وطنى متحمس تقوده إلى أن القوة وحدها هى القادرة على إخراج الإنجليز من مصر كما فعل أتاتورك الذى قاد تركيا إلى الاستقلال و الذى اعتبره السادات مثله الأعلى ، اتصل السادات بالتنظيمات السرية داخل الجيش واتصل بالإخوان المسلمين وكان من أشد المعجبين بالمكافح الوطنى «عزيز باشا المصرى» إثر لقاءاته المتكررة معه ، و حاول السادات مساعدته على الهرب من مصر إلى العراق لمعاونة «رشيد عالى الكيلانى» فى ثورته ضد الإنجليز ، ولكن محاولة هروب «عزيز المصرى» فشلت وقبض على السادات ، ولم تهدأ ثورة السادات النضالية ففى أثناء الحرب العالمية الثانية ومع تقدم «روميل» فى الصحراء الغربية اتصل السادات ببعض الجواسيس الألمان وحاول أن يساعدهم على أمل التحالف مع الألمان ضد انجلترا لتخليص مصر من الاحتلال البريطانى فقد كان كل الشعب المصرى متعاطفاً مع الألمان حتى أن «روميل» حينما وصل إلى العلمين خرج المصريون فى مظاهرات يقولون « إلى الأمام يا روميل » غير مدركين أنه بهزيمة الإنجليز

ربما يتخلصون منهم ولكن من سيخلصهم من الاحتلال الألمانى ونازيته! ، واكتشفت المخابرات البريطانية أمر الجواسيس الألمان وتم القبض عليهم واعترفوا على السادات الذى قبض عليه وتمت محاكمته وفصل من الجيش وأودع سجن الأجانب عام ١٩٤٢ وظل معتقلاً حتى استطاع الهرب بمساعدة زميله حسن عزت عام ١٩٤٤ وظل متخفيا منتحلاً أسماء مختلفة وشغل العديد من المهن الشاقة من حمّالاً على عربة لورى إلى ناقلٍ للأحجار من المراكب النيلية لاستخدامها فى الرصف ثم انتقل للعمل فى شق ترع الرى إلى أن سقطت الأحكام العرفية State of Siege عام ١٩٤٥ واستطاع الظهور وممارسة حياته الطبيعية ،وما هى إلا شهور قليلة حتى عاود السادات نشاطه واتصل بحسين توفيق المشهور بقتل الجنود الإنجليز .

وفى ذلك الوقت صرح « أمين عثمان باشا » وزير المالية ورئيس جمعية الصداقة المصرية -البريطانية بتصريح استفزازى Provocative Declarations قال فيه «ينبغى أن يكون عقد زواج بريطانيا البروستانتينية والدولة المصرية المسلمة على طريقة الزواج الكاثوليكى الذى لاطلاق فيه» فكان هذا التصريح بمثابة حكم إعدام له ، دبر السادات خطة اغتيال «أمين باشا» وأسند التنفيذ لحسين توفيق ، وتم اغتيال «أمين باشا» ولكن البوليس قبض على حسين توفيق الذى اعترف بالعملية كلها ، فتم القبض على السادات وكان ذلك عام ١٩٤٦ وبقى فى المعتقل حتى حُكم له بالبراءة فى أغسطس ١٩٤٨ .

السادات يعود إلى الجيش وينضم للضباط الأحرار

وفى عام ١٩٥٠ عاد السادات إلى الجيش بمساعدة صديقه يوسف الرشاد الطبيب الخاص بالملك، وكان السادات قد تعرف عليه أثناء خدمته العسكرية بالجيش ، وفى هذه الأثناء كان تشكيل الضباط الأحرار قد توسع بقيادة جمال عبد الناصر وتعددت الخلايا السرية فى الجيش ، وانضم السادات إلى الحرس الحديدى[1]

(١) هو تنظيم كونته السراى ، وأشرف على اختيار أعضائه الطبيب البحرى يوسف رشاد ، ليكون عين السراى على الضباط الوطنيين فى الجيش .

وفى نفس الوقت بدأ الاتصال بالضباط الأحرار ، وضمه عبد الناصر إلى الهيئة التأسيسية لقيادة تنظيم الضباط الأحرار نظرا لتاريخ السادات السياسى والنضالى الكبير وتجاربه الكثيرة إلى جانب الاستفادة من موقعه فى الحرس الحديدى فى معرفة أخبار القصر وإبلاغها للضباط الأحرار ، وقد اتهم البعض السادات فى هذه الفترة بأنه كان عميلاً مزدوجاً لصالح الطرفين وكتب الأستاذ «هيكل» أن كل أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار عارضوا انضمام السادات للتنظيم نظرا لتاريخه السياسى المشبوه من الاتصال بالألمان واغتيال أمين عثمان وانضمامه للحرس الحديدى الذى يعمل لصالح الملك ، إلا أن عبد الناصر أصر على ضمه للسادات ! وهذه الرواية من جانب الأستاذ «هيكل» غير مقبولة وغير مقنعة فلو سايرنا وصفه لتاريخ السادات السياسى وتوجس الضباط الأحرار من ضمه لأنه من الممكن أن يكون عميلا مزدوجاً، فما الذى يدفع عبد الناصر إلى المخاطرة بضم السادات الذى يمثل كل هذه الخطورة على الثورة ، وإذا كان السبب هو البقاء عليه معهم لمعرفة أخبار القصر لصلة السادات بيوسف رشاد وحسب فكان من المفروض طرد رجل بهذه الخطورة من مجلس قيادة الثورة أو حتى إبعاده عن أى منصب أو عمل سياسى بعد نجاح الثورة إلا أننا نجده يذيع بيان الثورة ويتولى عدة مناصب فى الدولة بعد ذلك إلى أن وصل نائباً لعبد الناصر رئيس الجمهورية !! لقد تغاضى الأستاذ «هيكل» عن كل ذلك بل إنه بقوله أن عبد الناصر أصر على ضم السادات رغم اعتراض كل أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار يتهم عبد الناصر بالديكتاتورية ، والحقيقة أن السادات كان طوال عمره وطنيا مخلصاً وجه كل طاقته وجهده نحو مصلحة الوطن أفنى شبابه من أجل مصر وله تاريخه الثورى المعادى للقصر والإنجليز واعتقل وفصل من الجيش وامتهن أشق الأعمال فلا يحتاج إلى دليل على وطنيته وإخلاصه وقد كانت كل مسيرته من أجل مصر ، وحينما ساعده موقعه فى الاقتراب من الملك ومعرفة أخبار القصر كان مصدر معلومات لضباط الثورة فى معرفة ما يدور فى السراى . وعلى الجانب الآخر كان

السادات يضلل يوسف رشاد بأخبار ملفقة عن الضباط الأحرار ليبلغها للملك فاروق .

أحداث تعجل من قيام الثورة:

كانت عجلة الأحداث تدور سريعاً وكان الموقف السياسى فى مصر يزدادا سخونة بصورة متلاحقة ، فالنحاس باشا ألغى معاهدة ١٩٣٦ فى أكتوبر ١٩٥١ واشتعل الموقف فى الشارع المصرى ، وقرر عبد الناصر مع الضباط الأحرار قيام الثورة فى نوفمبر ١٩٥٥ ، ثم اندلع حريق القاهرة فى ٢٦ من يناير ١٩٥٢ ، ومن خلال اتصال السادات بيوسف رشاد عرف منه مدى تدهور مركز الملك وضعفه بعد حريق القاهرة ، وتوالت المنشورات وانضم عدد كبير من الضباط إلى تنظيم الضباط الأحرار وأصبح الجو مهيأ تماما لرجال الثورة مما دفع عبد الناصر بتعجيل موعد قيام الثورة لتكون فى نوفمبر[1] ١٩٥٢.

السادات ينقذ الثورة

ومع اتصال السادات بيوسف رشاد عرف منه أن الملك فى حالة غضب عارم لأنه وجد على مكتبه منشوراً مذيلاً بتوقيع الضباط الأحرار وعزم الملك على تعيين «حسين سرى عامر» وزيراً للحربية والذى كان يعد تعيينه كارثة للضباط الأحرار لأنه يعرف أسماءهم جميعاً وعلى علم بأسرارهم ، أدرك السادات خطورة ذلك وأوهم يوسف رشاد أن الضباط الأحرار ليست لهم صلة بالمنشور ، وأن صاحبه هو «مصطفى كمال صدقى» عضو الحرس الحديدى والذى كان على علاقة سب مع يوسف رشاد ، وقد اختاره السادات لعلمه بمدى ضيق يوسف رشاد منه ورغبته فى التخلص منه ، وبالفعل اتصل يوسف رشاد بالملك وأقنعه بالعدول عن تعيين حسين سرى عامر وتعيين إسماعيل شيرين «زوج الأميرة فوزية أخت الملك» وزيرا

(١) ذكر السادات فى مذكراته أنهم اختاروا شهر نوفمبر لأن فيه يكون الملك والحكومة قد عادا من الإسكندرية وبالتالي يستطيعون تركيز ضربتهم فى القاهرة .

للحربية[1] .

وبدأ العد التنازلى

وفى ١٦ يوليو ١٩٥٢ أصدر الملك قراراً بإلغاء انتخابات مجلس إدارة نادى الضباط وتنحية اللواء محمد نجيب الذى تم ترشيحه من جانب الضباط ، وفى ٢٠ يوليو ١٩٥٢ وردت أخبار لعبد الناصر من أن هناك تشكيلًا وزاريًا جديدًا فى طريقه إلى التعيين وأن وزير الحربية فى الوزارة الجديدة هو حسين سرى عامر الذى يعرف الضباط الأحرار واحداً واحداً ، فعرف الأحرار أن الوقت ليس فى صالحهم وقرروا أن تقوم الثورة فى اليوم التالى مباشرة ٢١ يوليو ولكنها تأجلت إلى يوم ٢٣ من يوليو لأسباب مختلفة منها عدم وجود بعض الضباط المتواجدين فى العريش الذى لم يتم إخطارهم بعد مثل (السادات وصلاح سالم وجمال سالم) .

دور السادات ليلة الثورة

كان السادات فى رفح وأرسل له عبد الناصر رسالة يوم ٢١ من يوليو ١٩٥٢ للنزول إلى القاهرة يوم ٢٢ يوليه ، ولكن عبد الناصر لم يذكر للسادات بالتحديد يوم قيام الثورة وبحسب رواية السادات فإن عبد الناصر حدد له موعد قيام الثورة فى الفترة من ٢٢ من يوليو إلى ٥ من أغسطس ١٩٥٢ ، ونزل السادات إلى القاهرة ورجع إلى منزله واصطحب زوجته إلى السينما ، وعندما عاد إلى المنزل فى المساء وجد رسالة من عبد الناصر تركها مع بواب العمارة مكتوب فيها « المشروع يبدأ الليلة » ، وصعد السادات مسرعاً إلى شقته وارتدى ملابسه العسكرية وحمل مسدسه وذهب إلى ثكنات الجيش بالعباسية.. ، وقيل : أن السادات كان على علم بليلة الثورة ودخل إلى السينما وافتعل مشاجرة فيها ليثبت تواجده فى السينما فى هذا التوقيت للتنصل من الثورة فى حالة فشلها وهو أمر ليس بمستبعد عن دهاء السادات الذى

(١) محمود جامع – عرفت السادات .

كان يجيد هذه الحيل مثل تواجده فى مكان وله شهود بتواجده فى مكان آخر فى نفس التوقيت كما فعل فى حادثة اغتيال أمين عثمان .. ، وحتى وإن صحت هذه الرواية فهى ترتيباً أمني وتكتيك من رجل سياسى ذكى يؤمن فيه جانبه فى حال فشل المهمة ، ويواصل مسيرته بعد ذلك للمشاركة فى العمل الوطنى فلم يرد أن ينهى نفسه إذا خسر الجولة الأولى ، حتى أن عبد الناصر نفسه كان حذر جداً ليلة الثورة وعندما أراد الاتصال بشمس بدران ليحرك لواءه إلى رئاسة الجيش ، أخبر عسكرى التحويله عند اتصاله أنه «الصاغ» جمال عندما سأله عن اسمه رغم أنه كان برتبة «بكباشى» حتى يكون مؤمنا فى حال فشل الثورة لأنه إذا فشلت الثورة وراجعوا المكالمات التليفونية سيجدون «الصاغ» جمال وليس «البكباشى» وبالتالى لا يكون هناك دليل عليه ..

وعن مشاركة السادات ليلة الثورة ...يقول «توفيق عبده إسماعيل» أحد الضباط الأحرار « ... ما كانوش لاقيين ضابط الإشارة ..أمين شاكر[1] كان فى إيطاليا ..كان لازم ضابط فى سلاح الإشارة لأنه هو المسؤول عن الاتصالات التليفونية واللاسلكية مع وحدات الجيش وكان دوره محورياً ... لو كان أمين شاكر موجودًا كان السادات فضل فى العريش .. وبعثوا للسادات عن طريق الأخ صفوت كلفوه إنه يجيبه بسرعة وهو كلف ضابط آخر مسافر برسالة ظريفة راح لصلاح سالم وقاله : عاوزين «زبيبة» بأسرع ما يمكن فى القاهرة ..لأن السادات كان بيصلى وله زبيبة ومعروفة .. الاسم الكودى بتاعه كان «زبيبة»... وجاء أنور السادات وبدأ التحرك الفعلى ...»

ثم أضاف « فكر مجلس قيادة الثورة فى الاتصال بسيناء لأنه كان مهم جداً أن يتصلوا بسيناء .. وبعدما جاء السادات الساعة الثانية إلا ثلثًا .. لقوا الخطوط متقطعة .. لأنهم لما اقتحموا القيادة قطعوا خطوط التليفونات .. ماكنش ممكن حد يقدر يتصل غير واحد زى السادات عنده خبرة بأجهزة اللاسلكى .. هو اتصل

(١) ضمه عبد الناصر إلى التنظيم لعمله فى سلاح الإشارة وأوضح له أهمية سلاحه ودوره المحورى عند قيام الثورة

بتوفيق عبد الفتاح فى القنطرة وعن طريقه اتصلوا بصلاح سالم .. وصلت الرسالة لصلاح سالم بعد ٤ صباحاً بعد ما أمكنهم الاتصال به علشان يدوا له إنذارًا إننا سيطرنا على القاهرة »[1] .

ومن الواضح أن السادات لم يشارك منذ بداية الثورة لتأخره إلا أنه أدى عمله فى حدود مهمته كضابط فى سلاح الإشارة مسؤول عن الاتصالات التليفونية واللاسلكية بوحدات الجيش ، وبالتالى لم يقد أى وحدة أو كتيبة دبابات أو مدفعية كما فعل الضباط الآخرون ، ولاشك أن الكثير من الضباط الأحرار حاولوا تجريد السادات من أى دور يذكر فى الثورة وأنه تقاعس ليلة الثورة ، ولكن لو كان السادات يريد التقاعس لما غادر المنزل مسرعاً وهو يحمل مسدسه بعد رجوعه من السينما وبقى فى المنزل كما تقاعس ضباط آخرون ليلة الثورة ولم يخرجوا ، كما أنه رجل عرف طوال تاريخه أنه لم يتقاعس عن عمل ظن حقاً أو باطلاً أنه عمل وطنى ، كما أنه عرف بالمغامرة طوال عمره فلا سبيل إلى تخوفه من المشاركة ليلة الثورة .

السادات يذيع بيان الثورة:

بعد أن تم حصار الإذاعة .. سعى رجال الثورة إلى إذاعة أول بيان للحركة ، وطلب من اللواء «جمال حماد» أن يكتب البيان لكونه كاتباً وأديبا .. وتم اختيار السادات لإذاعة البيان فى الإذاعة لأنه يتمتع بصوت جيد رصين ويجيد القراءة باللغة العربية الفصحى ، وذهب أنور السادات إلى الإذاعة وأذاع بيان الثورة المشهور فى السابعة صباح ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ ليعد يوماً فاصلاً فى تاريخ مصر ، واستقبل الشعب الثورة بالترحاب والبهجة والتأييد ، ثم أسند إلي السادات مهمة حمل وثيقة التنازل عن العرش إلى الملك فاروق . وفى ٢٦ من يوليو ١٩٥٢ غادر الملك فاروق مصر ليطوى صفحة سوداء من الفساد عاشتها مصر تحت حكمه ..

(١) طارق حبيب - ملفات ثورة يوليو .

السادات خارج دائرة الصراع بعد الثورة:

لم تدم فرحة السادات بنجاح الثورة طويلاً ، حيث بدأت الصراعات تنشب داخل مجلس قيادة الثورة ، وجرت مناقشات عنيفة حول الديمقراطية وكان هناك تباين فكرى وعقائدى واضح بين الضباط ، كما ظهرت بوادر الأطماع من قبل بعض الضباط الأحرار وبدأت نشوة السلطة تلعب بعقولهم ، وكان من المفترض أن تجرى انتخابات فى فبراير ١٩٥٣ كما أعلنت الثورة إلا أن مجلس قيادة الثورة تجاهلها ، وثارفريق من الضباط الأحرار على مجلس قيادة الثورة وقام المجلس باعتقال هؤلاء الثائرين ومحاكمتهم ، وفى ١٨ يونيو١٩٥٣ أعلن إلغاء النظام الملكى فى مصر وإعلان الجمهورية وأصبح «محمد نجيب» أول رئيس لجمهورية مصر ، إلا أن عبد الناصر أخذ يحجم دور محمد نجيب وسيطر على مجلس قيادة الثورة ثم الجيش بعد تعيينه لرفيقه عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة وصارع عبد الناصر محمد نجيب على السلطة ، ما لبث أن أنهاه عبد الناصر لصالحه فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ بعد أن اعتقل محمد نجيب ، وحدد إقامته في منزله ، وانفرد وحده بالسلطة ، وخلال هذه الموجة من الصراعات والانقسامات ، ماذا كان موقف السادات منها ؟

اتخذ السادات لنفسه مسار الظل ، ونأى بنفسه بعيداً عن هذه الصراعات مؤمناً بأن الثورات تأكل أبناءها ، ولم يجهد نفسه فى المشاركة فيها وإبداء الرأى ، وورَّثَ هذا الاتجاه من جانب السادات انطباع لدى رجال الثورة بأن السادات يتسم باللامبالاة ، والضعف والعجز عن أن يكون له أى دور ، ولم يتبدد انطباعهم هذا عن السادات إلا بعد أن تولى الحكم وأطاح بكل معارضيه وانفرد بالسلطة فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، وهو ما عرف بثورة التصحيح ، وكان السادات يصف الضباط الأحرار المتصارعين بأنهم مجموعة من الضباط الشباب كانوا قبل الثورة يجلسون إلى مكاتبهم كغيرهم من أفراد القوات المسلحة .. لم يعرفوا الجوع والتشرد ، ولم يتعرضوا للسجن والاعتقال مثله .. ثم بعد ثلاثة أيام من إعلان الثورة وجدوا أنفسهم فى مركز السيادة .